﴿سورة الفلق﴾

وفيها ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ هل يخلق الله تعالى الشر ؟

هذه مسألة فى غاية الخطورة، حارت فيها كثير من الأفهام وزلَّت فيها كثير من الأقدام، إذ لا يُعقل أن يوصف الله ﷻ ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا بنسبة الشر إليه، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ فى موقف الشفاعة العظمى يُنادى عليه فيقوم على رؤوس الخلائق ملبياً نداء ربه مثنياً عليه بقوله: (لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، المهدي من هديت، وعبدك بين يديك، ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحان رب البيت)[١] كما أن أسماء الله ﷻ الحسنى تشهد بذلك فهى تدل على امتناع نسبة النقص إليه، والشر نقص، والنقص لا يُنسب لمن كانت أسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها علا، فمن أسمائه ﷻ (القدوس)، ومعناه: المنزه عن كل نقص وشر وعيب، ولذا سمى بيت المقدس بذلك لأنه مكان يُتطهر فيه من الذنوب ومن قصده لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه،وسمى جبريل – عليه السلام– بروح القدس لأنه طاهر من كل عيب.

ومن أجود من كتب فى هذا الباب الإمام ابن القيم– رحمه الله– حيث قال: (إن الله تعالى لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا باطل، فالشر ليس إليه فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته فلا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه لايضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته[٢]، ومعنى ذلك: (أن الشر في مفعولات الله لا في أفعاله) فالشر لا يُنسب إلى الله ﷻ بل يُنسب لمخلوقات الله ﷻ، قال ابن

---

(١) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، ٤٣٠/٢، ورقمه ٣٤٤٢، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .

(٢) فائدة جليلة فى قواعد الأسماء الحسنى، محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، ص٢٩، الناشر غراس، الكويت، ط١، سنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .

القيم: (سبحانه الخالق لكل شيء فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلاً لذلك وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب فجعله فاعلاً خير والمفعول شر قبيح فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً وهذا أمر معقول في المشاهد؛ فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلاً وصواباً يُمدح به وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب يُذَم به المحل، ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك حكمة وعدلاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرِجل، والكحل في العين، والزبالة في الكناسة، فقد وضع الشيء موضعه ولم يظلم النعل والزبالة إذ هذا محلهما)[1] .

وثمة نقطة أخرى متعلقة بهذا الباب ألا وهى أن الشر نسبى بمعنى أن ما يراه غيرك شراً قد يكون عندك خيراً فقطع يد السارق له شر، وعند جموع الناس خير، لما فيه من أمنهم وحفظ أموالهم، وكذا الصائل والقاتل ونحوهما (فسلبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل، والحكمة والمصلحة لا تخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثني عليه بتنزيهه عن الشر وأنه ليس إليه) [2] .

المسألة الثانية: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ(٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(٥)﴾ ما سر الجمع بينهما ؟

الجواب: اقترن الساحر والحاسد في السورة لأن مقصدهما إيذاء الناس

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكربن قيم الجوزية، ص١٨٠ دار الفكر بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٩ .

وإلحاق الضرر بهم، والشيطان رفيق الساحروصاحب الحاسد يحادثهما ويزين لهما سوء أعمالهما ولكن الحاسد تعينه الشياطين دون استدعاء منه لهم، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعين به، فلهذا والله أعلم قرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر، لأن الاستعاذة من شر هذين تعم كل شر يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد من شياطين الإنس والجن، وكذلك السحر منهما أيضاً، وبقي قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة في القلب فذكره في سورة الناس .

المسألة الثالثة: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(٥)﴾ ما فائدة قوله ﴿إِذَا حَسَدَ(٥)﴾ فى الآية ؟

الجواب: تأمل تقييده ﷻ شر الحاسد بقوله: **﴿إِذَا حَسَدَ(٥)﴾** لأن أى إنسان عرضة لأن يتسلل الحسد إلى قلبه فهذا الأمر قلما يخلو منه قلب العبد، لكن المؤمن ينظر إلى نعم الله ﷻ على إخوانه من المؤمنين ويتمنى لهم البركة والزيادة وأن يرزقه الله ﷻ مثلهم لينال ما نالوه من رفعة الدنيا وعز الآخرة، وهذا المعنى هو ما عبر عنه قول نبينا ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[١] فسماه حسداً وهو بمعنى الغبطة، قال ابن رجب – رحمه الله –: (هذا هو الغبطة وسماه حسداً من باب الاستعارة) [٢]، وقال ابن عبد البر – رحمه الله – : (ويقال إن الحسد لا يكاد يسلم منه أحد فمن لم يحمله حسده على البغي لم يضره حسده، وروينا عن الحسن البصري أنه قال ليس أحد من ولد آدم إلا وقد خلق معه الحسد، فمن لم يجاوزه إلى الظلم والبغي لم يتبعه منه شيء) [٣]. فمثل هذه الغبطة لا يترتب عليها أذى لأحد بل هى من باب الإعجاب المحمود غير

---

(١) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخارى، ٣٩/١، باب الاغتباط فى العلم والحكمة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هأ ، ١٩٨٧ م .

(٢) جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ٦/٣٧، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ .

(٣) الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ٢٩٠/٨، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

المذموم الذى يدفع صاحبه إلى العمل لينال من الخير مثلما نال صاحبه، أما الحسد المذموم فهو حسد الحاسد إذا حسد وتحقق ذلك الحسد، وترتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارحفهذا هو الحسد المذموم وهو تمنى زوال النعمة من المحسود .

لطيفتان فى سورتى المعوذتين:

اللطيفة الأولى:

وهي أن فيهما مستعاذ به وهو الله ﷻ ومستعاذ منه وهو ما يُخاف منه الضرر، وقد ورد المستعاذ به في السورة الأولى (الفلق) موصوف بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد، وأما في سورة (الناس) فقد جاء العكس حيث جاء المستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة. ونستفيد من ذلك خطورة الوسوسة حيث احتاج الإنسان إلى الاستعاذة منها برب وإله وملك الناس، فى حين جاءت الاستعاذة من الغاسق والنفاثات والحاسد برب الفلق فقط، والاستعاذة يجب أن تُقدَّر بحجم خطورتها، فكلما كان الخطر عظيماً كان اللجوء والاستعانة أعظم.

والفلق استعاذة من المخاطر التى تهدد البدن، بينما فى سورة الناس الاستعاذة من خطر وسوسة الشيطان التى تهدد سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين– وإن قلَّت – أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت .

اللطيفة الثانية :

لمّا أمر الله ﷻ قارىء القرآن أن يفتتح قراءته بالتعوُّذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله ﷻ عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، فيكون القارىء محفوظاً بحفظ الله ﷻ الذي استعاذ به مِن أول أمره إلى آخره.